الباب الأول

في

الكتب والأسفار

الفصل الأول
في
مصادر الكتاب

لست أقصد من كتابي هذا أن أبحث تاريخ مدينة «بئر السبع» وحدها؛ بل أرمي إلى بحث تاريخ البلاد التي تؤلف «قضاء بئر السبع» في الوقت الحاضر، والتي يحدها من الشمال جبل الخليل، ومن الشرق البحر الميت ووادي العربة الذي يفصلها عن شرق الأردن، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط وشبه جزيرة سينا، ومن الجنوب خليج العقبة.

تكاد الكتب التي ذكرت تاريخ هذه المنطقة وتاريخ القبائل العربية التي تعيش فيها تعد على الأصابع؛ ولكنها -مع قلتها- لا بأس بها، يستطيع المرء أن يهتدي بنورها الضئيل إذا ما شاء أن يستطلع طلع العهد القديم.

بيد أن هناك كتبًا وأسفارًا أخرى وإن لم تأت على ذكر هذه البلاد بوضوح تام إلا أنها أشارت إلى بعض الوقائع التي تمت إليها بصلة، لم نرَ بُدًّا من الإشارة إليها أيضًا. وهذه وتلك هي التي تتبعتها لا تمكن من العثور على ضالتي المنشودة فإليكها:

(أ) الكتب العربية

رقم متسلسل	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	معجم البلدان	ياقوت الحموي
٢	تاريخ الكامل	ابن الأثير

٣	تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون
٤	تاريخ الأنس الجليل	أبو اليمن مجير الدين الحنبلي
٥	تاريخ مصر الحديث	جُرجي زيدان
٦	تاريخ سينا	نعوم بك شقير
٧	تاريخ الطبري	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
٨	كتاب الطبقات	محمد بن سعد كاتب الواقدي
٩	كتاب معجم ما استعجم	أبو عبيد الله البكري الوزير
١٠	تاريخ فلسطين	عمر أفندي الصالح وخليل أفندي طوطح
١١	دائرة المعارف	المعلم بطرس البستاني
١٢	العرب قبل الإسلام	جُرجي زيدان
١٣	قاموس الكتاب المقدس	الدكتور جورج بوست
١٤	جغرافية الكتاب المقدس	القس أسعد منصور
١٥	إتحاف الأعزة في تاريخ غزة	الشيخ عثمان الطباع
١٦	مذكرة الأدب العربي وتاريخه	الأستاذ محمد عبد المطلب
١٧	أسفار العهد القديم	

(ب) الكتب الإنكليزية

S. No	Name of Book	Name of Author
١	The wilderness of Zin	C. Leonard & T.E.Lawrens
٢	Yesterday & to-day in Sinai	C.S. Jarvis
٣	The Handbook of Palestine and Trandjordan	H.C.Luke & E. Keith-Roach
٤	Atlas of the Historical Geography of the Holy Land	George Adam Smith
٥	Tent work in Palestine	Claude Reignien Conder
٦	History oh the Great war	Captain Cyril Falls
٧	Jerar	Sir Flinders Petrie
٨	Beth Pelet I	Sir Flinders Petrie
٩٠٠	Beth Pelet II	J. L Starkey & L. Harding
١٠	A History of Egypt	Sir Flinders Petrie
١١	Palestine & its Transformation	Ellthworth Hantigton

(ج) الكتب الفرنسية

Nombre	Nom des Livre	Nom D'auteur
١	Inscriptions grecques de Bersabee	L. Abel
٢	L'edit Byzantin de Bersabee	Clermont Ganneau
٣	Inscription Samaritine de Gaza et inscription grecque de Bersabee	Clermont Ganneau
٤	Revue Biblique	L'Ecole Biblique et Arche-ologique Francaise Jerusalem

(د) الكتب الألمانية

Nummer	Name Des Buches	Name Des Verfassers
١	Die Neu belebung der Wueste	Osman Lloyd
٢	Die Tuerkei im Weltkriege	Fritz Grotemeyer
٣	Erdkunde XIV	Ritter
٤	Durch das Land der Judaer und der Philister	Rotermund
٥	Das Glutheisse und das Eiskalte Morgenland	Alfred Wiener
٦	Ein Grabstein aus Beerseba	Alt Albrecht
٧	Arabia Petraea	Alois Musil

الفصل الثاني
في
روايات بعض الأسفار القديمة

أسفار العهد القديم

قبل كل شيء نود أن نرجع إلى أسفار العهد القديم؛ لنستطلع منها الأخبار القديمة عن هذه البلاد، إن أول ذكر لبئر السبع نجده عند ذكر اختصام سارة «أم إسحاق» وهاجر «أم إسماعيل» امرأتي سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام؛ وذلك في الإصحاح ٢١ من سفر التكوين إذ جاء فيه:

(١٤ فبكر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد وصرفها، فمضت وتاهت في برية بير سبع ١٥ ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ١٦ ومضت وجلست مقابله بعيدًا نحو رمية قوس؛ لأنها قالت لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت ١٧ فسمع الله صوت الغلام، ونادى مَلاك هاجر من السماء وقال لها: ما لك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ١٨ قومي احملي الغلام وشدي يدك به؛ لأني سأجعله أمة عظيمة ١٩ وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء؛ فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام).

وفي الإصحاح نفسه نجد ذكر العتاب بين إبراهيم وبين أبيمالك ملك الفلسطينيين من أجل بئر الماء والميثاق الذي قطعه كل منهما؛ والسبب في إطلاق اسم «بئر السبع» على تلك البئر فاسمع ماذا يقول:

(٢٢ وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما إبراهيم قائلين: الله معك في كل ما أنت صانع ٢٣ فالآن احلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي

ولا بنسلي وذريتي كالمعروف الذي صنعت إليك تصنع إلي. وإلى الأرض التي تغربت فيها ٢٤ فقال إبراهيم: أنا أحلف؟! ٢٥ وعاتب إبراهيم أبيمالك لسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد أبيمالك ٢٦ فقال أبيمالك: لم أعلم من فعل هذا الأمر. أنت لم تخبرني ولا أنا سمعت سوى اليوم ٢٧ فأخذ إبراهيم غنمًا وبقرًا وأعطى أبيمالك، فقطعا كلاهما ميثاقًا ٢٨ وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها ٢٩ فقال أبيمالك لإبراهيم ما هي هذه السبع النعاج التي أقمتها وحدها؟ ٣٠ فقال: إنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر ٣١ لذلك دعا ذلك الموضع «بير سبع» لأنهما حلفا هناك كلاهما ٣٢ فقطعا ميثاقًا في بير سبع. ثم قام أبيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا إلى أرض الفلسطينيين ٣٣ وغرس إبراهيم أثلًا في بير سبع ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدي).

وفي الإصحاح السادس والعشرين عند ذكر إسحاق نقرأ الكلمات الآتية:

(٢٣ وصعد إسحاق من هناك إلى بير سبع ٢٤ فظهر له الرب في تلك الليلة وقال: أنا إله إبراهيم أبيك، لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي ٢٥ فبنى هناك مذبحًا ودعا باسم الرب، ونصب هناك خيمة وحفر هناك عبيد إسحاق بئرًا ٢٦ وذهب إليه من جرار أبيمالك وأحزاب من أصحابه وفيكول رئيس جيشه ٢٧ فقال لهم إسحاق: ما بالكم أتيتم إلي وأنتم قد أبغضتموني وصرفتموني من عندكم؟ ٢٨ فقالوا: إننا قد رأينا أن الرب كان معك؛ فقلنا: ليكن حلف بيننا وبينك ونقطع معك عهدًا ٢٩ ألا تصنع بنا شرًا، كما لم نصنع بك إلا خيرًا، وصرفناك بسلام، أنت الآن مبارك الرب ٣٠ فصنع لهم ضيافة؛ فأكلوا وشربوا ٣١ ثم بكروا في الغد وحلفوا بعضهم لبعض وصرفهم إسحاق، فمضوا من عنده بسلام ٣٢ وحدث في ذلك اليوم أن عبيد إسحاق جاءوا وأخبروه عن البئر التي حفروها وقالوا له: قد وجدنا ماء ٣٣ فدعاها شعبه؛ لذلك اسم المدينة بير سبع

إلى هذا اليوم).

ويظهر أن بئر السبع كانت الحد الجنوبي لأرض كنعان في ذلك الحين (كما هي الحد الجنوبي لأرض فلسطين في الوقت الحاضر) إذ جاء عنها في الإصحاح العشرين من سفر القضاة ما يلي:

(فخرج جميع بني إسرائيل واجتمعت الجماعة كرجل واحد من دان إلى بئر سبع مع أرض حلباء إلى الرب في المصفاة).

وفي أخبار الأيام الثاني الإصحاح التاسع عشر يعثر المطلع على الكلمات الآتية:

(٤ وأقام يهوشفاط ملك يهوذا في أورشليم ثم رجع وخرج أيضًا بين الشعب من بير سبع إلى جبل أفرايم وردهم إلى الرب إله آبائهم ٥ وأقام قضاة في الأرض في كل مدن يهوذا المحصنة في كل مدينة فمدينة ٦ وقال للقضاة: انظروا ما أنتم فاعلون لأنكم لا تقضون للإنسان؛ بل للرب وهو معكم في أمر القضاء ٧ والآن لتكن هيبة الرب عليكم، احذروا وافعلوا لأنه ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء).

وقد كانت بئر سبع مركزًا مهمًّا لقضاة بني إسرائيل، وبعد أن قضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته وشاخ نصب أولاده قضاة لهم وكان نصيب بئر سبع ما نقرأه في الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الأول:

(وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل ٢ وكان اسم ابنه البكر يوئيل واسم ثانيه أبيا كانا قاضيين في بئر سبع ٣ ولم يسلك ابناه في طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء ٤ فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل في الرامة. وقالوا له: هو ذا أنت شخت وابناك لم يسيرا في طريقك! فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب ٦ فساء الأمر في عيني صموئيل ٧

فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك؛ لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم ٨ حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى هكذا هم عاملون بك أيضًا ٩ فالآن اسمع لصوتهم. ولكن اشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم).

ثم صارت بئر سبع أخيرًا -كما يخبرنا الكتاب- محلا لعبادة الأصنام، فإنك تجد في الإصحاح الخامس من سفر عاموس أن الرب يقول في بيت إسرائيل:

(اطلبوني فتحيوا ولا تطلبوا بيت أيل، وإلى الجلجال لا تذهبوا وإلى بئر سبع لا تعبروا).

وفي الإصحاح الثامن من السفر ذاته نقرأ الأبيات التالية:

(١١ هو ذا أيام تأتي يقول السيد الرب: أرسل جوعًا في الأرض لا جوعًا للخبز ولا عطشًا للماء بلا لاستماع كلمة الرب ١٢ فيجولون من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق يتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها ١٣ في ذلك اليوم تذبل بالعطش العذارى الجميلات والفتيان ١٤ الذين يحلفون بذنب السامرة ويقولون: حي إلهك يا دان وحية طريقك يا بئر سبع فيسقطون ولا يقومون بعد).

قاموس الكتاب المقدس[1]

أشار الدكتور جورج بوست في كتابه هذا إلى أسفار العهد القديم التي جاء فيها ذكر لهذه المدينة، وذكر أن بعض السياح شاهدوا في خرائبها عدة آبار قديمة العهد عمق البعض منها نحو خمسين قدما. وبالقرب من هذه الآبار أحواض تملأ عند

---

(١) طبع في بيروت سنة ١٧٩٤م.

الحاجة فتسقى منها الخرفان والبقر والجمال، وهذا مما يدلنا على أن تلك الهضاب المجاورة للمدينة كانت مرعى للمواشي.

تاريخ الكامل

وذكر ابن الأثير في تاريخه «الكامل» أن إبراهيم عليه السلام بعد أن غادر مصر خوفا من بطش «سنان بن علوان» فرعونها في ذلك الزمان نزل السبع. فانتقل عنها الماء وكان قد اتخذ بها بئرًا ومسجدًا وكان ماء البئر معينًا طاهرًا. فآذاه أهل السبع. فانتقل عنهم للماء، فاتبعوه يسألونه العودة إليهم فلم يفعل، وأعطاهم سبعة أعنز، وقال إذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينًا طاهرًا فاشربوا منها، ولا تغترف منه امرأة حائض فخرجوا بالأعنز. فلما وقفت على الماء ظهر إليها. وكانوا يشربون منه إلى أن غرفت منه امرأةٌ طامث. فعاد الماء إلى ما هو عليه اليوم.

دائرة المعارف

ذكر المعلم بطرس البستاني بئر السبع في كتابه «دائرة المعارف» فقال: (بئر السبع هي اسمٌ لأقدم الأماكن في فلسطين، يتألف من التخم الجنوبي في تلك البلاد، حفر إبراهيم بيرًا هناك وسماه بهذا الاسم ومعناه: بير الحلف؛ لأنه حلف هناك هو وأبيمالك الملك كما هو مذكور في سفر التكوين، وقد ثبت ذلك الحلف بإقامة سبع نعاج من الغنم وحدها شهادة لإبراهيم بأنه هو الذي حفر ذلك البير، ولا يبعد أن تكون تسميتها مأخوذة من السبع نعاج المذكورة، وربما كان اسمه الحالي مأخوذ من اسم السبع للحيوان المفترس، وقد غرس إبراهيم بالقرب من ذلك البير شجرًا ودعا هناك باسم الرب، ولا بد أن تكون قد أقيمت هناك بلدة مهمة حول ذلك البير، وقد وجد الدكتور روبنصن بيرين آخرين مستديرين في حالة جيدة من التحفظ تبعد إحداهما عن الأخرى ٥٥ قصبة وعمق إحداهما ٤٤ قدمًا إلى الماء وأما الأخرى فعمقها ١٢ قدمًا فقط. وقد حفر في الصخر ١٦ قدمًا في أسفل البير العميقة، ولا بد

أن حفر آبار كهذه في بلاد قليلة الماء كتلك البلاد كان يقضي تبعًا جزيلا، ولقلة تلك الآبار تزدحم عليها الأقدام؛ فنشأ عن ذلك منازعات بين المستقين كما يتضح من قصة البير المذكور، وكان هذا المكان في أيام صموئيل مركزًا مهما للقضاة، وفي أيام عثريا مركزا لعبادة الأوثان وقد طمس بعد ذكر تلك الحادثة خبر هذا المكان إلى أن ذكره «أيرونيموس» و«أوسابيوس» في القرن الرابع وقالا: (إنه كانت هناك قرية نامية).

إتحاف الأعزة في تاريخ غزة

قرأت في «إتحاف الأعزة في تاريخ غزة»[1] لمؤلفه الشيخ عثمان الطباع (أن غزة على عهد الروم كانت مدينة فاخرة وبقعة زاهرة عامرة، فيها البطارقة والأساقفة والرهبان، وكانت قريش تقصدها للتجارة وتقيم فيها مدة الصيف وهي إحدى الرحلتين لهم، وكانت تسمى «حمراء اليمن» وكان العرب يألفون ضواحيها وخصبها حتى توطنها قبائل كثيرة منهم قبل الإسلام) وإذ أعنيت بنقل هذه الفقرة هنا فلأن عربان السبع كانوا حتى زمن قريب يُدعون عُربان غزة.

ابن خلدون

وقال ابن خلدون (غزة من مواطن جرم، وجرم إحدى بطون قضاعة، وجرم جامعة البطون كلّها. فهنالك «جرم قضاعة» وهو ابن زبان بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير بن سبا، وأما «جرم طي» بن عمرو بن الغوث بن طي بن أود بن زيد بن يشجب بن عرين بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأن جرم طي أيضًا لها بطون كثيرة وفروق متعددة وكلها كانت مساكنها ببلاد غزة).

---

(١) كتاب لم يطبع بعد.

معجم البلدان

وقد جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي عن السبع ما يأتي:

(قال ابن الأعرابي: السبع هو الموضع الذي يكون فيه الحشر يوم القيامة، وهو في برية من أرض فلسطين بالشام، ومنه الحديث أن ذئبًا اختطف شاة غنم فانتزعها الراعي منه فقال الذئب: «من لها يوم السبع؟».

والسبع ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك فيه سبع آبار سمي الموضع بذلك، وكان ملكًا لعمرو بن العاص أقام به لما اعتزل الناس، وأكثر الناس يروي هذا بفتح الباء: أن عبد الله بن عمرو بن العاص مات بالسبع من هذه الأرض «وقيل: إنه مات بمكة» وكانت وفاته سنة ٧٣ للهجرة).

كتاب معجم ما استعجم

وفي كتاب «معجم ما استعجم» لمؤلفه الفقيه الحافظ أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب البكري الوزير قرأت عن السبع ما يأتي:

(السبع هي قرية عمرو بن العاص من فلسطين بالشام، وبها بعض أهله، قال أبو زكريا يحيي بن عثمان بن صالح السهمي في «كتاب الفوائد» له قال: حدثنا ابن لهيعة حدثني إسحاق بن ربيعة بن لقيط التجيبي عن أبيه قال: (خرجت إلى عبد الله بن عمرو في الفتنة وهو بالسبع حين أخرجه أهل مصر، فلقيت على بابه مطعم بن عبيد البكري، فقال من تريد؟ قلت: أردت هذا الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكون معه حتى يجمع الله أمر الناس.

قال فاجتذبني وقال: وفقك الله من غلام، ثم قال: عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اسمع وأطيع وإذا كان على أسود مجدع، فوالله لا يزال بيني وبين النار منهم سترًا أبدًا. وبأرضه بالسبع مات عبد الله بن عمرو).

تاريخ الطبري

وقد قرأت في «تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري»[١] الأسطر التالية:

(فخرج عمرو بن العاص من عند عثمان بن عفان وهو محتقد عليه... ولما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرضٍ له بفلسطين يقال لها السبع، فنزل في قصر له يقال له «العجلان» وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان.

قال: فبينا هو جالس في قصره ومن حوله ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي إذ مر بهم راكب فناداه عمرو وسأله: ما فعل الزمان بعثمان؟ وأخذ يسأله مثل هذا السؤال، إلى أن قال: أنا عبد الله، «قد يضرط العير والمكواة في النار»[٢].

فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر فناداه، وسأله نفس السؤال، قال: قتل. قال: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة نكأتها.

وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط).

كتاب الطبقات

وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مصنفه «كتاب الطبقات الكبرى»[٣] ما يأتي:

(فتح عمرو بن العاص مصر بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وولاه مصر بعد فتحها إلى أن مات، وولاه عثمان مصر، ثم عزله وأقام مقامه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وظل في السبع بعد عزله حتى قتل عثمان. عندئذ صار إلى معاوية، فولاه هذا مصر فخرج إليها، ونزل بها حتى مات سنة ٤٣...).

---

(١) طبع في ليدن سنة ١٨٩٩ م.

(٢) مثل مشهور بين العرب.

(٣) طبع في ليدن سنة ١٣٣٨ هـ